الباء الموحدة فبقيت « ي » وحدها فجعلوها من ادوات الاعراب في الآخر كما فعلوا في حالتَيْ الرفع والنصب ثم نقلوها الى الكسر . وتدرّج اندثار لفظة « بيت » الى « بي » او « با » (بالامالة) ثم الى « ب » ظاهرٌ الى ايامنا هذه فان اهل سورية يقولون مثلاً: بيت لحم وبَيْجبرون وباعابا وبزمّار . فبيت لحم على الاصل واصل البقيّة بيت جبرون وبيت عابا وبيت زمّار . وتزيد على ذلك ان « بيت » و « بي » و « ب » قد وردت كلها في اللغة العبرانية اي בית و בי و ב التي يقابلها بالسريانية ܒܝܬ و ܒܝ و ܒ بمعنى الباء العربيّة وذلك في الترجوم والتلمود . راجع ذلك في طبعة Jean-André Dantz.- (Rabbinism § 64.4. 2)

وبعد ان كان معنى البيت الخيمة نقلوه الى مجرّد الظرف ثم اطلقوهُ على كل ظرف. ولمّا كان البيت بمنزلة آلة ظرفية تنتقل من مكان الى مكان يصون بها الانسان وجودهُ وسكناهُ اطلقوها ايضاً على كل آلة بدون اعتبار الظرفيّة . وعليهِ تقولك مثلاً: ضرب زيدٌ عمرًا بعودٍ يعني ضربهُ بآلةٍ وهي العود . وكان لهُ هذا العود بمنزلة بيت ألمَ أدخل فيهِ عمرٌو او خيَّم عليهِ الالم ومدّ على جسمهِ اطنابهُ . وبالحقيقة اذا ضُرب الواحد في محلّ من جسمهِ فلا يشعر المحلّ وحدهُ بذلك بل شخص الانسان كلهُ . فتدبّر (ستأتي التتمّة)

الشاعر نصرالله الطرابلسي الحلبي

للاب لويس شيخو اليسوعي

قد آنسنا من جمهور القراء ارتياحاً الى معرفة مشاهير بلادنا . وذلك ما حدانا سابقاً الى تسطير ترجمتَيْ الشاعرَين البارعين الياس ادّه (المشرق ٢ : ٦٩٣) وميخائيل البحري (٩ : ٣) . على أنّنا آثرنا تدوين اخبار الذين كاد ذكرهم يخمل بين مواطنيهم لئلا تتضعضع مآثرهم الجليلة وتُنسج عناكب النسيان على اعمالهم المبرورة

ومن جملة الذين اشتهروا في عهد الشاعرَين السابق ذكرهما رجلٌ عُرف بزمانهِ بجودة القريحة وذكاء الفهم يدعى نصر الله الطرابلسي

ولد المذكور في حلب نحو سنة ١٧٧٠ من ابوَين كاثوليكيين من اعيان الشهباء

امتازا بالفضل والفضيلة. واسم ابيهِ فتح الله بن بشارة الطرابلسي انتقل من طرابلس الى حلب لمزاولة التجارة فتوطّنها وتأهّل فيها. وغاية ما نعلم من امرهِ انهُ كان شديد التعلّق بالايمان المستقيم مع ما لحقهُ من المحن لاجل معتقدهِ وهو كان من طائفة الروم الكاثوليك ونشأ ابنهُ نصرالله على مثالهِ تقيًّا ثابت العزم حسن العقيدة قويم الايمان

ولمّا ترعرع اخذ يدرس مبادئ العلوم برغبة عظيمة على أدباء مدينتهِ فاتقنها برقتٍ قريب. ثمّ حملهُ حبُّهُ للمعارف الى ان يتفرّغ للدروس البيانيّة والآداب فحفظ بعد قليل شيئاً كثيراً من اشعار العرب ونوادرهم واخبارهم فاشتهر عند اصحابهِ بادب النفس وعلوّ الهمّة وكان مع ذلك عذب اللسان خفيف الشمائل جميل الطلعة فرغب كبار الناس في مجالستهِ وأعجبوا برقّة محاضرتهِ

ثمّ وجد نصرالله فرصةً لدرس اللغتين الفارسيّة والتركية فانتهزها وصار بعد زمن ضليعاً فيهما ينظم في كلتيهما الشعر الحسن. بيد انهُ آثر الشعر العربي وقصّد فيهِ القصائد الرنّانة التي:

تزين معانيها القلوظها وألفاظها زانتْ معانيها

وممّن اجتمع بهم في الشهباء نصر الله الطرابلسي ومدحهم بشعرهِ يوسف لويس روسّو (Rousseau) قنصل دولة فرنسة في حلب وكان رجلاً ذا ادب يأنس بمصاحبة العلماء ويحبّ درس الفنون العربية. فكتب اليهِ نصر الله من قصيدة يهنّئهُ بعيد الفصح المجيد سنة ١٨٠٨

هو الماجد المفضالُ بالحزم والندى ومَن لم نجد في المكرمات لهُ ندّا
غمامٌ حمى بحرٌ طمى اسدٌ حمى همامٌ سما فخراً فاضلٌ اهدى
وما روضةٌ غنّاء لذّ مقيلُها رهزّ الصبا النجديُّ أغصنها المُلدا
وسحّ عليها القطرُ والبرق منتضٍ مهنّدهُ البتّار اذ يارز الرعدا
واكسَها فصلُ الربيع لحسنها فألبسها من خير ترقيمهِ بُردا
وزجسها ابدى وقوفاً وهيبةً وغضّ لحاظاً حينما نظر الوردا
باحسن منهُ منظرًا عند نيلهِ وحين يلاقي الضيف او يكرم الوفدا
اميرٌ اذا ما زرتهُ ولقيتهُ ترى السعد والاقبال من حولهِ جندا
فألفاظهُ كالشهد والكفُّ كالحيا فيا لفظُ ما احلى ويا كفُّ ما اندى

اهنيك بالعيد الذي قام ناهضاً بهِ بارئُ الكونين اذ فرَّغ اللحدا
وأنهضنا من وَهدة الذلّ اذ غفا رداء الرَّدى عنّا وسربلنا المجدا
فدمتَ الى امثالهِ ما همى الحيا وما شاعرٌ في مدحكم بذل الجهدا

ولعلَّ هذا القنصل هو الذي اوعز الى نصر الله الطرابلسي ان ينظم قصيدة ليهنئ نابوليون الاول بمولد نجلهِ الذي دعاهُ ملك رومية (١ سنة ١٨١١ فقال:

ورد البشيرُ فسرَّت الاقطارُ وترنَّمت في دوحها الاطيارُ
والسعد قد عمَّ البسيطةَ كلها فالليل مذ قدم السرور نهارُ
والناس خرُّوا سجَّدًا بورودهِ فكأنَّما لاحت لهم انوارُ
مستبشرين بنيل غايات المنى اذ وافت الآمال والاوطارُ
اعني بذلك مولد الملك الذي سارت بذكر جلالهِ السفَّارُ
تاج المفاخر والمآثر مَن غدا في مهدهِ ملكٌ اليهِ يُشارُ
فرع العلى من اصلهِ ملك الورى من في حماهُ لا يُضام الجارُ
العادل المنصور ذو البطش الذي بفتوحهِ قد شاعت الاخبارُ
الأروع الشهم الوقور الامنع م الليث الجسور الارفع الجبَّارُ
يا ايها الملك الذي ساد اللا م ابدًا وقد خضعت لهُ الاقطارُ
افخرْ على كلّ الملوك عُلىً بما اعطاك ربٌّ واحدٌ قهَّارُ
فلقد كسرت جيوشهم لمَّا أبوا عُلياك كسرًا ليس فيهِ جبارُ
لمَّا رأوا غارات نصرك أدبروا ورأوا صنيع الله فيك فحاروا
رافيتهم في جحفل من حولهِ زُمر الملائك جحفل جرَّارُ
ما منهم الا فتًى ذو همةٍ اسدٌ يصول وفارسٌ كرَّارُ
فقدرتَ شأنك حتفهم او اسرهم قهرًا وكلٌّ شأنهُ الإدبارُ
وغدوا وعندهمُ الهزيمة منحةٌ خوفًا وكلٌّ دمعهُ مدرارُ
عميتْ بصائرهم فلمَّا يعلموا ان البسيطة كلها لك دارُ
ان كانت الآفاق قد خضعت لهُ طوعًا فما مصرٌ وما الامصارُ
ان رمتَهم هيهات ان ينجوا ولو فوق النجوم علت لهم اوكارُ

١) مات هذا المولود طفلًا بعد سنتين فعاقب الله اباهُ لتعدّيهِ على الكنيسة وحبرها الجليل ببوس السابع

واذا غفرتَ تفضّلًا هيهات ان تدنو لنحو حماهمُ الأضرارُ
تردي وتحيي بالوعيد وبالرضا فكأنما في كفّك الاعمارُ
فديار كل الخائنين مشيدةٌ وديارُ من يأبى علاك قفارُ
لا تستقرُّ على الدوام بموضعٍ هل يستقرُّ الكوكب السيّارُ
فالنصر في رايات مجدك خافقٌ وضياء عزّك ليس فيه سرارُ
والسعد عبدك لا يزال ملازمًا والدهر منقادٌ لما تختارُ
والآن هذا السعد تمَّ كمالُهُ بولود من خرّت لهُ الاقمارُ
فتهنَّ فيهِ بعزّ مُلكٍ زاهرٍ ولهُ على طول المدى استمرارُ
واصفح عن التقصير فيك فانهُ عن بعض وصفك حارت الافكارُ
لمَّا رأيتُ المادحين تزاحموا وتتابعوا والى جنابك ساروا
فحمول ذكري عاقني بالرغم عن سيري اليك فسارت الاشعارُ
ورجاك نصري مذ علمتُ ميتّمًا يمناكِ يُمنٌ واليسار يسارُ
هيهات ان اشكو الظما من بعد ذا ابدًا ولي من راحتيك بحارُ
واليكما مني اليك فانها درٌّ لهنَّ على علاك نثارُ
واسلمْ لهذا العقد في تاريخهِ جيدًا ردم ما غنّت الاطيارُ ١٨١١

ولنصر الله الطرابلسي في القنصل روسو من قصيدةٍ نظمها لمَّا فارق المذكور الشهباء بعد ان استدعتهُ دولتهُ . ولم نعثر منها على غير هذه الابيات :

لقد شطَّ قلبي يوم سارت حولكم بسفح قُوَيقٍ حيث اظعانكم تُحدى
ودارت كؤوس اللثم عند وداعنا وقد رخدت ايدي المطايا بكم رخدا
لحا اللهُ ايامَ النوى ما امرَّها فما اقبلتْ الّا وشيَّبتِ المُردا
احبَّائي لا والعهد ما خنتكم بهِ ولا كان حبٌّ حال او نكث العهدا

وكان بين صاحب الترجمة وادباء المسلمين في حلب مودَّة ومفاوضات في الشعر والنثر فمن ذلك قولهُ يمدح احد كرام اسرةٍ شهيرة وهو النقيب محمّد بن الجابري :

نعم انجز الدهر الوعودُ وتمَّما فشكرًا لمن بالمقصد الفرد أنعما
صحا الدهر من سكر الغباوة واهتدى وتاب وعن طرق الغواية أحجما
وآض يروم العذر عن كل ما جنى ويطلب منّا العفو عمّا تقدَّما

فأصبح وجه الحق في الحكم ضاحكا ... وقد كان قبلا ابدَ اللون مقتما
وعاد شرود الفضل اذ هو مُنجِدٌ ... الى اهله من بعد ما كان مُتهما
يُقدَّم افراح تبدَّت سعودها ... يقيناً وولى النحسُ من حيث اقدما
لك العفو مني يا زمان فانَّ ما ... اتيتَ به قد زاح عن طرقك العمى
أتمَّ بمن اهواهُ نعماك انني ... رضيتُ وما بي ان يكون المقدَّما
خليليَّ عوجا عن رسوم دوارس ... ولا تسألا الربعَ المحيل عن الدما
ولا تعجبا ان جاوبت بصداكما ... فما كلّ ذي لبٍّ يخاطب ابكما
رويدكما لا ترسماهُ ملامةً ... فانَّ جمادًا لا يطيق التكلُّما
فتلك امور كنتُ قدمًا ألفتها ... ولازمتُها حتى دعوني المتيَّما
بلى عرّجا نحو الربوع التي زهت ... اذا جئتما في الحيّ من ايمن الحمى
فثَمَّ مغانٍ قد تبدَّى سناؤها ... عليها رواق المجد والسعدُ خيَّما
وما ذاك الّا انها قد تشرَّفت ... بتقبيل اقدام الهمام الذي سما
محمدُ ابن الجابريّ الذي به ... لقد جبر اللهُ القلوب بُعَيدما
نقيب السراة الغرّ من آل هاشم ... مصابيح فضل ان دُجى الليل اظلما
هو الفرد حاز المكرمات باسرها ... وجمّعها سلني بذاك لتعلما
فان جال في حَوْك البنان يراعهُ ... فبالغ مَن وشّى الطروس ونمّما
وان قال في بحث العلوم رأيتهُ ... لدى كلّ فنّ قيل بحرًا عرمرما
وان حال في فضل الخطاب لسانهُ ... فيغدو لهُ قسّ الفصاحة مُفحما
وان نبضت في عرق قطر شراسةٌ ... فاحكمُ مَن ساس الامور وقوَّما
وان كفّ في يوم الطراد جوادهُ ... ترى فوقهُ دامي الغريسة ضيغما
وان أمَّهُ العافون يبغون جودهُ ... فاكرمُ مَن اعطى واغنى واكرما
وان هزَّهُ المدّاح في نعت خِيمهِ ... فيغدو لهُ سجلٌ عدا المدح مفعما
وان اوعد المكروهَ فالعفو طبعهُ ... وان وعد المعروفَ في الحال تمَّما
وان جاءهُ المظلوم يبغي انتصارهُ ... فلم يكن المظلوم يوماً ليُظلَما
وان حاول الحسّاد نقصاً لفضلهِ ... وان قابلوا النعمى بكفر فيحلما
وما زادهُ عزّ النقابة رفعةً ... لقد كان مرفوع الدعائم قبلما

فيا من حوى علماً وحزماً وسؤددًا وجودًا واقداماً ورأياً محكَّما
أغثْ وتداركْ غرس نعمتك الذي تعاهدتهُ قدماً فها هو في ظما
لك الخير ان الدهر جرَّد عَضْبَهُ فمزَّقني لحماً وفتَّت اعظُما
وقد ابت الضرّاء عني تأخرًا كما ابت السراء نحوي تقدُّما
حنانيك ملْ نحوي بطرفك رأفةً تجد من جروح الدهر كلّيَ أسهما
فمثلك مقصودٌ ومثليَ قاصدٌ ومثلك موجودٌ وأصبحُ معدما
ومن خدم الاشراف يرجو نوالهم فانيَ لم اخدمك الّا لأُخدما
فَفِرْ غيرةً للفضل وانصر اخا سجًا لقد ذاق من بعد الحلاوة علقما
فما زلتَ قبل الان ترفد بائسًا اديباً وتعتدّ الغرامة مغنما
وها انا قد وافيت بابك قاصدًا ونبَّهتُ يقظانًا وغادرتُ نوَّما
ولم يبقَ الّا ماء وجهٍ أرقتُهُ وحسبي بشعري شاهدًا ومترجما

وكتب الى الشيخ هاشم افندي الكلّاسي:

لمّا سمعتُ مسلسلًا عن سادةٍ انّ الفصاحة كلها في هاشمِ
يَثْنتُ ناديهُ والقيتُ العصا ورجوتُ يقبلني ولو كالخادمِ
ان جاد لي بالارتضاء بفضلهِ او لم يَجُد فلسوء حظّ الناظمِ

فاجابهُ الشيخ:

نسيمُ لطفك صابني صَيْبَ المحبّ الى محبٍّ قادمِ
فبمثلهِ اهلًا وسهلًا مرحبًا بسامرٍ ومنادمٍ لا خادمِ

ولمّا كانت سنة ١٨١٨ حاول جراسيموس مطران الروم غير الكاثوليكيين في حلب ان يكره الروم الكاثوليكيين على طاعته فأبوا اجابة طلبه. فاخذ يدسّ لهم الدسائس حتى تمكّن من قتل ١١ شخصاً منهم فضّلوا الموت في سبيل الحق على تلبية امره واضطرّ غيرهم الى الفرار الى لبنان فاقاموا فيه الى سنة ١٨٢٥. فقال نصر الله الطرابلسي من قصيدة يصف احوال ملّته واعتداء جراسيموس على طائفته وما قاساهُ الكاثوليك في تلك المحنة (راجع مختصر تاريخ الروم الملكيّين الكاثوليكيّين ص ٧٥):

دع العين مني تذرف الدمع عَنْدما فحقَّ لهذا الخطب ان تُسكب الدما
وخلِّ زفير القلب يحرق اضلعًا ابت من لهيب الحزن ان تتقوَّما

وذرْ كبدي تفنى من البؤس والاسى فحقٌ عليها ان تذوب وتُعدما
لقد كنتُ قبل اليوم أُفصحُ ناطقاً فقد صرتُ من هذي الحوادث ابكما
خليليَّ ان لم تسعداني على البكا فلا انتما مني ولا انا منكما
خليليَّ ان لم تدويا ما اصابني من الدهر قد خان الوفا وتصرَّما
خليليَّ امسى طامس الكفر واضحا خليليَّ اضحى منهج الحقّ مبهما
خليليَّ والايمان غابت شموسهُ خليليَّ والحقّ الصريح تكتَّما
خليليَّ ان السيف كذّب دينا فان كنتما لم تعلما ذاك فاعلما
وما ذاك الّا انَّ اعيان قومنا غدوا فرقاً شتّى ولولاهم لما...
فيا لقلوبٍ قد نست وتسامحت ويا لعيونٍ قد تبرقعها العمى
نفوس غدا يقتادها الضالُّ نحوهُ كأنّ عليها الكفر امرٌ تحتَّما
فيا ليتَ الحاظي عميَ ولا ارى رجالًا عن الايمان لا شكَّ نوماً

الى ان قال في وصف رجلٍ مرق من الايمان:

يروم التباهي بالعناد ودأبهُ الفساد فيُضحي عالماً ومعلّما
أيترك دين الحقّ حيث حماتهُ ألا تيس الحامي وبئس الذي احتمى
فمن اجل دنياهُ اضاع لدينه وصلّى مع الاوغاد جهراً ورتّما
نعم عنهُ في الانجيل قد قيل معلناً بعيدٌ على ذي المال ان يدخل السما

وبقي نصرالله الطرابلسي في تلك الاثناء يجلب تحافظاً على دينهِ ومثبتاً لاخوتهِ المؤمنين فصبر على ذلك مدّة نحو عشر سنوات الى ان اخنى عليهِ الزمان بتناوات الوشاة والحسّاد فلم يرَ نجاةً الّا بالخروج من وطنهِ. فرحل الى مصر سنة ١٨٢٨. وكان سبقهُ اليها بنو البحري ونالوا عند اصحاب الامر نفوذًا عظيماً فالتجأ نصر الله الطرابلسي الى حمايتهم(١ فلم يردُّوهُ خائبًا وهو من طائفتهم دافع مثالبهم عن ايمانهِ. ثمَّ اختصَّ بخدمة احدهم حبيب البحري فصار من كتّاب الديوان تحت نظرهِ. وفي السنة التي وقعت بعد قدومهِ الى مصر تزوَّج حبيب البحري فقال الطرابلسي يهنئهُ في زفافهِ وقد ضمَّن في صدر كلّ بيت التاريخ المسيحي (١٨٢٩) وفي عجزهِ التاريخ الهجري (١٢٤٥):

زفافٌ زها في ضمنهِ الفوز والبشرُ فيا حبذا سعدٌ حبانا بهِ الدهرُ

١) وقد ورد سهوًا في الصفحة ٢٢ ان نصر الله الطرابلسي التجأ الى بني البحري سنة ١٨٢٠

بعرس حبيبٍ اشرقت مصر بالسنا وجاد لهُ الاقبال والعزّ والفخرُ
فسند فضلٍ من ابيهِ مؤثلاً ومن عمّهِ قد عمّ مدّتهُ النصرُ
فدام ابو اللطف الامينُ بغبطةٍ وبمن اقتدارٍ دونهُ الانجم الزُّهرُ
ولا زال بالعيش الرغيد مهنّأً ومعتقاً للفوز ما هطل القطرُ
بآن اجتماع الشمل ناديتُ منشداً ١٨٢٩ بمنزل أمن الشمس قارنها البدرُ ١٢٤٥

ولمّا بنى حبيب البحري قصراً في النيل سنة ١٨٣٠ م (١٢٤٦) قال الطرابلسي يهنئهُ بهذه القصيدة:

انَّ البناء دليلُ قدر الباني وجمالهُ للسر ذكرٌ ثاني
ودليل حسن العقل ما يختارهُ وبذاك تُعرف قيمةُ الانسانِ
ونتيجة الافعال في آثارها وجلالة الاخطار في البنيانِ
وتحاسنُ الآثار توضح ما خفي من فضل مُوجدها مدى الازمانِ
واذا اردتَ لصدق قولي شاهداً كيما يكون بارضح البرهانِ
فاعطف بمنعطف الجزيرة بكرةً تلقَ الامان بها ونيل اماني
وخذ الجواري المنشئات صوابحًا فهي التي انجت من الطوفانِ
وهي الوليّة حيث فوق الماء تمشي غير ما مبلولة الاردانِ
واركب فباسم الله مجراها وسُر ساها بطيب اليمن والايمانِ
حتى اذا لاحت لعينك اربعٌ مأهولةٌ ومنازلٌ ومغانِ
ورأيت ما دهش العقول اقلهُ من كل قصر شامخ الاركانِ
ايوان كسرى والخورنق دونهُ والقصر ذو الشُّرفات من عدنانِ
فاحلل بروضتها الاريضة انها أُنس الحزين وساوة الثكلانِ
واستنشق الارواح من ادواحها فهي الشفاء لكل صبٍّ عانِ
لا تُنعتنَّ صفاتها وصفاءها الّا بقول الفاضل الهذانِ
لا تسمع الآذانُ في جنباتها الّا ترنُّمَ ألسن العيدانِ
فحياضها ورياضها وغياضها سلّت غريب الاهل والاوطانِ
قد ونّمت اطيارها وتدنّجت ازهارها بُجانس الالوانِ
من ازرقٍ صافٍ واصفرَ فاقعٍ او ابيضٍ يققٍ واحمرَ قانِ

وتدفّقت انهارها وتمايلت اشجارها كمعاطف النشوانِ
هي جنّـة المأوى خان قبلوك يا بشراك اذ قد فزت بالرضوانِ
يا من يقايس غيرها بجمالها ها بيننا المقياس في الميدانِ
يا حبذا في النيل منهلها الذي في الحسن اضحى مُفرَد الاقرانِ
فهناك أُنسي لا العذيب ولا النقا ومعاهدي لا السفح من نعمانِ
تحيي الجنانَ جنانهُ وتزيل عن قلب الحزين عوامل الاحزانِ
ويمرّ رقراق النسيم معطّرًا ارجاءهُ بتعانق الاغصانِ
وجداولٍ تنساب في حافاتها معوجّة اللّفّات بالاتقانِ
وحدائق متقابلاتٍ اخجلت ارضاءهنّ فلاسف اليونانِ
فهناك تنظر مَن عنيتُ مديحهُ اعني بهِ الشهمَ الجليـل الشانِ
تلقـاهُ من دون السؤال لانهُ نادي الوفود ومنزل الضيفانِ
حيث المروّة والفتوّة والوفا بل مجمع البحرين يلتقيانِ
لكنّ بينهما التفاوتَ واضحٌ شتّان هل يتقايس البحرانِ
فالنيل يأتي كلّ عامٍ مرّةً وعباب جودك دائم الفيضانِ
يا ايها المولى الذي اوصافهُ عن وصف خير البعض كلّ لساني
انت العزيز بمصرنا بل انت مُعجز عصرنا بل فخر كلّ اوانِ
انت الذي مدحتكَ ألسنة الورى بمحبّة في السرّ والاعلانِ
انت الجميد وما لمجدك اوّل انت الفريد ومـا لفضلك ثاني
لولا عزائمـك الشهيرة لاغتدت منّا الاسودُ فرائسَ الضبعانِ
انسانُ عينِ العين نبراسُ الورى وسواكم عين بلا انسانِ
هنئت بالبيت الذي قـد شدتهُ ولك المنا والسعد مقترنانِ
لمّا حللتَ بهِ ازدهاهُ ترفّع بوجودكم وعلا على كيوانِ
فعسيد فضلك أرّخوهُ لطيبهِ قصرٌ سما بسعادة السكّانِ ١٢٩٦

ثم اصاب الطرابلسي عند ولي نعمتهِ حظوةً وترقى في خدمتـهِ فادخلهُ البحري على محمد علي باشا امير مصر في ذلك العهد فاكرم مثواهُ واجازهُ . ولصاحب الترجمة فيـهِ

قصائد لم نقف عليها. ومما قالهُ في ذلك الزمان وصفهُ لخزانة مجموعات السكك القديمة في القاهرة:

افيقوا بني الدنيا فقد وعظ الدهرُ فليس لكم من بعد انذارهِ عذرُ
ألم تسمعوا بمن حاز شرقاً ومغربا وضاقت بهِ الآفاق قد ضمَّهُ القبرُ
فاين الملوك الصِيد من خضعت لهم رقاب الورى ثمَّ اطاعهمُ القصرُ
واين الأُولى سادوا وبالعلم قد غدوا فلاسفةً من لفظهم خجل الدرُ
فماتوا وما اضحى لنا من تراثهم سوى سكَّة يبقى لهم ضمنها ذكرُ
فوا حيرتي كيف المعاد لم تزل ونفني فذا امرٌ يضيق بهِ الصدرُ
ولكن مراد الله جلَّت صفاتهُ فليس لنا الَّا الرضى ولهُ الامرُ
ألا رَحِم الله امرءاً سار صالحاً وقدَّم خيراً قبل ان ينقضي العمرُ

وعاش الطرابلسي في مصر الى اواسط القرن الحالي لكننا لم نقف على تاريخ وفاتهِ. ولهُ قصائد كثيرة اغتالت اغلبها ايدي الضياع. واكثر ما اوردناهُ من شعرهِ قد جمع شتاتهُ بعض ادباء حلب وقد حصلنا عليهِ بهمَّة حضرة الاب الفاضل الاديب الخوري توما ايوب السرياني. فنتقدم لكليهما الشكر عن هذه الخدمة التي خدما بها تاريخ الاداب العربيَّة في بلادنا ونتمنى ان يحصلا على بقيَّة ديوان الفقيد. وقد امكن القراء ان يعرفوا مما سبق شأن صاحبهِ وفضلهُ السامي. وهذه قصيدة أُخرى لهُ ضمَّنها المعاني الزهديَّة وشعائر التوبة فقال رحمهُ الله:

مَن عذيري على اتِّباع الغواني فهواهنَّ عن رشادي غواني
كلما رمتُ من غرامي خلاصاً يُجذب القلب للخطا بعنانِ
يا فؤادي والله لستَ فؤادي إن بدت منك رغبةٌ في الحسانِ
يا مريداً مع الذنوب سماءً عمرك الله كيف يلتقيانِ
خلِّ عنك الجنون واندب زماناً رحت فيهِ كالهائم الولهانِ
نفد العمر منك الَّا قليلاً فالى ما تميس كالسكرانِ
انَّما الموتُ حيث كنتَ قريبٌ فاترك اللهوَ فالحمامُ مُدانِي
يا خليليَّ انتيا لمسيء فاسعداني بالنوح او ساعداني
أنما ادمعي من الخوف حُمرٌ فاغيثاني من شربها واصيحاني

نقد الدرُ من حديثي ونظمي فنثرت الدموع من مرجانِ
واذا ما رأيتما نفذ الآ خرُ مني فأجملا وابكياني
انا نحو الصلاح نكسٌ جبانٌ والى الشرّ فارس الميدانِ
بئس دهرًا جريتُ فيهِ الى م كلّ قبيحٍ مشتر الأردانِ
لك مني ندامةٌ ونفورٌ يا زماني الذي مضى يا زماني
فتنوبيَ أورثتنيَ حملًا وجنايَ بالاصل اصل جناني
أترى بعد ذاك هل لي شفيعٌ يرتضيني بمنحة الغفرانِ
ليس الّاك عاضدي يا وحيدَ الآب والجنس والقنوم الثاني
انّ لي في رضاك يا ربّ حقًّا اذ تردّيتَ حلّة الانسانِ
فاعنّي لا تتركنّي وحيدا اذا امّي ووالدي تركاني
واعفُ عن حوبتي وجهليَ وانظرْ لانكساري وذلّتي وهواني

ولهُ ايضًا تخميس حسن لابيات مشهورة:

فؤادٌ لأعراض الحبيب تصدّعا وقلبٌ لترحال الطبيب توجّعا
فيا من حفظتُ العهد فيهِ وضيّعا متى نلتقي حتى اقول وتسمعا
لقد كاد حبل الودّ ان يتقطّعا

جعلتُ هوى الاحباب دأبي وديدني وقلبيَ من فرط المحبة قد فني
ذهبتُ غرامًا من هواهم وليتني فاذكر ايّام الحمى ثمّ انثني
على كبدي من خشية يتصدّعا

لي الله من حبٍّ محبٍّ ووالعِ صبورٍ على الاحباب ليس بطامعِ
فيا قلبيَ المحزون مُت موت طائعِ فليست عشيّاتُ الحمى برواجعِ
اليك ولكن خلّ عينيك تدمعا

ومن قولهِ في الصبر على صروف الدهر:

ان ارخصتني الحادثات فانّ لي فضلًا على رغم الاعادي غالي
او تعتورني النائبات فان لي قلبًا صبورًا في لقا الاهوالِ
لا يفرح الحسّاد ان مطالبي رجعت اليّ بخيبة الآمالِ
او انني اصبحتُ حقًّا فاقد الا م خوان والاوطان والاموالِ

فالدهر ذو غِيَرٍ وليس بثابت ودوام حالٍ من محالٍ محالِ
فاصبر على مضض الخطوب شهامةً فالطَّودُ يجمّر نطحة الاوعالِ
فلعلَّ مَن عقد الامور يحلُّها ببلوغ اوطارٍ وحسن مآلِ

ولهُ ايضاً يلوم الدنيا ويحرّض على عمل الصالحات:

دع الدنيا تروق لمشتهيها وذا الرايات يخفق بالبنودِ
فهبْك ملكتَها شرقاً وغرباً وسدْتَ القفار من الجنودِ
وقد قدتَّ الاشاوسَ فوق جردٍ وتمشي حولها مشيَ الوسيدِ
اليس مَصيرُ ذاك الى مماتٍ وتودَع تحت اطباق اللحودِ
فلا تغترَّ بالدنيا وحاذر خيانتها وعشْ عيش الفريدِ
ولا تندم على ما فات واحرص على الآتي فلستَ بذي خلودِ
وكن للبائس الملهوف عوناً وللمظلوم كالبرج المشيدِ
ولا تطلب على المعروف عرفاً فيذهب بالطريفِ وبالتليدِ
ولا تضجر لضيق الحال واقنع وتكِبْ عن طلابك بالمزيدِ
ولا تجزع اذا فاجاك خطبٌ فليس الله ظلّام العبيدِ
ولا تقنط تَنَلْ فرَجاً قريباً ولو اصبحتَ ترسف بالقيودِ
ولِن للناس واحذرهم قاني رأيتُ المرء يشرف بالبرودِ
وخذ عني مدار العيش واغنم لاني قدوةٌ للمستفيدِ

ولا يزال في حلب من بيت الطرابلسي ناس افاضل يذكرون بالخير صاحب الترجمة ويتناقلون اخبار فضلهِ وسعة علمهِ. هذا ولا نعلم أيتُ شاعرنا المذكور بقرابة الى رجل من اصحاب الخير اشتهر باسمهِ في اوائل هذا العصر وهو ابرهيم الطرابلسي وقد أرّخ وفاتهُ سنة ١٨٢٠ بقولا الترك بهذه الابيات:

سقت سُحُبُ طابي رحمةَ الله تربةً توارى بها الندبُ السليلُ الطوبّةِ
همام بتقواهُ التقى جنّة البقا ونال مجازاة الفعال الحميدةِ
بنوهُ اليتامى كم تراهم لفقدهِ ينوحون ما طال الزمان بحرقةِ
ولما اصطفاهُ الله ارّخت بالبكا على الخلّ ابراهيم يا طول حسرتي ١٨٢٠